

العلاقات النَّصِّيَّة في أحاديث كتاب مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه لِلسَّيِّخِ الصَّدُوقِ (ت ٣٨١هـ)

Textual Relationships in the speeches of the book (Men La yahdareho Al-Faqeeh) by the Jurist Sheikh Sadouk (d. 381A.H)

م.د. خالد لفتة سلمان

وزارة التربية / المديرية العامة لتربية محافظة بغداد / الرصافة الثالثة

L. Dr. Khaled Lefta Salman

Ministry of Education-Directorate General of Education in Baghdad Governorate

E:mail : Khalidlafta042@gmail.com

المستخلص :

الدِّراسة النَّصِّيَّة لأيِّ نصٍّ تتطلب من الباحث الوقوف على مُجْمَلِ العَلاقات التي تضبط بِنْيَةَ النَّصِّ، وتنظم أحداثه، بحيث لا تبدو فيه أيُّ ثغرة تشعر المتلقي بعدم انسياب المعاني والدَّلالات، لأنَّ المتلقي في تحليله للنَّصِّ يبني تمثيلاً للمعلومات التي يحتويها النَّصِّ، فالعلاقات التي تجمع جوانب النَّصِّ أو تربط متوالياته أو بعضها هي عَلاقات نصِّيَّة لا يخلو منها أيُّ نصٍّ يتخذ الرِّبْط المتماسك بين أجزائه، وإنَّ لها أثراً مهماً في الكشف عن الفكرة الأساسية للنَّصِّ ودلالاته.

الكلمات المفتاحية: علم لغة النَّصِّ، التَّحليل النَّصِّي، العلاقات النصيَّة- الحديث الشريف- الانسجام النصي.

Abstract:

The textual study of any text requires the researcher to identify all the relationships that control the structure of the text and organize its events, so that no gap appears in the recipient's sense of lack of flow of meanings and connotations, because the recipient in his analysis of the text represents a representation of the information contained in the text. Some or all of its sequences are textual relationships,

without any text that makes the cohesive connection between its parts, and has an important effect in revealing the basic idea of the text and its implications .

Key words: *Text Linguistics, textual analysis, textual relations - hadith - textual coherence.*

مدخل:

يتكون النص من مجموعة قُضَايَا مرتبطة بعضها مع بعض، وهذا الارتباط قائم على علاقات دَلَالِيَّة، وتعدّ العلاقات بين القضايا من معايير الانسجام بها يتحقق التَّرابُطُ الدَّلَالِيّ؛ لأنها قد ربطت بين قضيتين ولم يؤدِّ ترابطها إلى تنافر دلاليّ. فقد وظّفت الدَّرَاسَاتُ النَّصِيَّةُ كَثِيرًا من العلاقات التي تربط بين المفاهيم والأفكار، وذلك بتوسيع نطاقها في الكشف عن الانسجام بين الجُمَلِ والفقرات، والنص كأملاً.

تُعرّف هذه العلاقات بأنّها "حلقات الاتّصال بين المفاهيم. وتحمل كلّ حلقة اتّصال نمطاً من التّعيين للمفهوم الذي تقترن به بأن تحمل عليه وصفاً، أو تحدّد له هيئة أو شكلاً. وقد تتجلى في شكل روابط لغويّة واضحة في ظاهر النصّ، تكون أحيانا علاقات ضمنيّة يضيفها المتلقّي على النصّ، ويستطيع بها أن يوجد للنص مغزى بطريق الاستنباط". (مصلوح، ٢٠٠٣م، صفحة ٢٢٨) إنّ بعض العلاقات النصّية تتسم بالغموض والإبهام، وتتطلب من المتلقي استعمال مخزونه الثقافي لتحديدها، فوجودها في داخل أيّ نص يسهم في فهمه منطقيّاً (براون، ١٩٩٧م، صفحة ٢٣٣) فهي تجمع الأجزاء المتجاورة أو المتباعدة للنصّ دون أن تعتمد على أدوات أو وسائل شكلية، فهي تتجاوز النظر إلى الارتباط الشكلي، إلى ما هو أعمق (خطابي، ١٩٩١م، صفحة ١٨٧) وسنقف عند مجموعة من العلاقات النصّية التي اعتمدها الدراسات النصّية، وأثرها على وحدة وترابط النصّ.

١- علاقة الإجمال والتفصيل:

تشير هذه العلاقة إلى الوحدات النصّية التي يتركب منها النصّ، فهي علاقة شديدة الصلّة بالتّماسك النصّيّ، إذ التّفصيل يُعدُّ شرحاً للإجمال، والإجمال - في الغالب - سابق التّفصيل، وقد تأخذ هذه العلاقة صفة المرجعيّة؛ إذ إنّها علاقة تقوم على ما أُجْمِلَ ذِكره سابقاً؛ (الفقي، ٢٠٠٠م، صفحة ١٤١/٢) فهي تعني "إيراد الكلام على معنى سبيل الإجمال، ثمّ يأتي بعد ذلك تفصيله أو تفسيره، أو تخصيصه" (عبد المجيد، ١٩٩٨م، صفحة ١٤) ووظيفة هذه العلاقة هي استمرارية الدلالة المقصودة في النصّ لأنّ علاقة الإجمال والتّفصيل تعدُّ "إحدى العلاقات الدلاليّة التي يشغلها النصّ لضمان اتّصال المقاطع ببعضها عن طريق استمرار دلالة معيّنة في المقاطع اللاحقة"

(خطابي، ١٩٩١م، صفحة ١٨٧) وأنّ هذه العلاقة تمكّنتنا من " إدراك كَيْفِيَّة من الكَيْفِيَّات التي يُبْنَى بها النَّصّ وينسجم" (خطابي، ١٩٩١م، صفحة ٢٧٢).

أما مكانة هذه العلاقة فتكمن في مَيْل الكاتب على " إظهار القضية بشكل جليّ فيؤكّد وجودها بأنّ يظهرها مُجْمَلَة بعد أن فصّل فيها القول" (فرج، ٢٠٠٧م، صفحة ١٤٦). ومن الأمثلة على هذا النوع من العلاقات ما جاء في قول أمير المؤمنين عليه السلام في آداب الصّائم: "عَلَيْكُمْ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِكَثْرَةِ الْإِسْتِغْفَارِ وَالذُّعَاءِ، فَأَمَّا الذُّعَاءُ فَيُدْفَعُ عَنْكُمْ الْبَلَاءَ وَأَمَّا الْإِسْتِغْفَارُ فَتُحْمَى بِهِ ذُنُوبُكُمْ" (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ١٠٨/١).

شهر رمضان مدرسة رُوحِيَّة، ودورة تربويَّة يتخرج منها الإنسان وقد تَخَلَّقَ بِخِصَالِ الْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، ليمارسها في بَقِيَّة سُنَّتِهِ، من هنا يعكس الإجمال والتفصيل كثرة الاستغفار والذُّعَاء في شهر رمضان، ويؤكد على أهميَّة ذلك في كلِّ حياة الإنسان. ثمَّ يأتي الإمام بالتعليل موضحاً سبب الذُّعَاء وَالإِسْتِغْفَار فالذُّعَاء نتيجه أنّه يدفع عن الإنسان البلاء، وأنّ الإسْتِغْفَار نتيجه تحمى به ذنوب الإنسان. وعلى الرِّغْم من قصر الحديث الشريف إلّا أنّ علاقة الإجمال والتفصيل قد أكدت رابطة الدلاليَّة.

ونجد أسلوباً آخر لفقرة التفصيل بعد الإجمال يتبعها الشَّيْخ الصَّدُوق وهي أن يكون العنوان إجمالاً والنصّ تفصيلاً، وهذا ما نجده في باب الأغسال، فقد أجمل الشيخ الصدوق ذكر الأغسال، قال أبو جعفر الباقر عليه السلام: "الغُسلُ في سَبْعَةِ عَشَرَ مَوْطِناً: لَيْلَةَ سَبْعَةِ عَشَرَ من شَهْرِ رَمَضَانَ، وَلَيْلَةَ تِسْعَةِ عَشَرَ، وَلَيْلَةَ إِحْدَى وَعِشْرِينَ، وَلَيْلَةَ ثَلَاثِ وَعِشْرِينَ وفيها يُرْجَى لَيْلَةُ الْقَدْرِ، وَغُسلُ الْعِيدَيْنِ، وَإِذَا دَخَلْتَ الْحَرَمَيْنِ، وَيَوْمَ تُحْرِمُ وَيَوْمَ الزِّيَارَةِ، وَيَوْمَ تَدْخُلُ الْبَيْتَ، وَيَوْمَ التَّرْوِيَةِ، وَيَوْمَ عَرَفَةَ، وَإِذَا غَسَلْتَ مَيْتاً وَكَفَّنْتَهُ أَوْ مَسِسْتَهُ بَعْدَمَا يَبْرُدُ، وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَغُسلُ الْكُسُوفِ إِذَا احْتَرَقَ الْقُرْصُ كُلُّهُ فَاسْتِيقَظْتَ وَلَمْ تُصَلِّ فَعَلَيْكَ أَنْ تَغْتَسِلَ وَتَقْضِيَ الصَّلَاةَ، وَغُسلُ الْجَنَابَةِ فَرِيضَةٌ". (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٧٧/١).

ثم فصّل الكلام عن بعض تلك الأغسال في أبوابها (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ١٦٠/٢، ٥٠٧/١، (ح ١٤٦٤)، ٥٥١/٢، ٥٥٦/٢، ٥٣٧/٢، ١٦١/١، (ح ٤٤٨)، ٨٦/١، ١١١/١).

وفي باب وجوه الصّوم قدّم حديث الزهري عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، لكون الحديث جامعاً لأنواع الصّيام، ثمّ يذكر بعده أحكام أنواع الصّيام مُفَصَّلاً.

قال الزُّهْرِيُّ: دخلت على عليّ بن الحسين عليهما السلام فقال لي: "يا زُهْرِيُّ من أين جئت؟ فقلت: من المسجد، قال: ففيم كنتم؟ قلت: تذاكرنا أمر الصّوم فأجمع رأيي ورأي أصحابي على أنّه ليس من الصّوم شيءٌ

وَأَجِبْ إِلَّا صَوْمَ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَقَالَ: يَا زُهْرِيُّ لَيْسَ كَمَا قُلْتُمْ، الصَّوْمُ عَلَى أَرْبَعِينَ وَجْهًا، فَعَشْرَةٌ أَوْجُهُ مِنْهَا وَاجِبَةٌ كَوُجُوبِ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَعَشْرَةٌ أَوْجُهُ مِنْهَا صِيَامُهُنَّ حَرَامٌ، وَأَرْبَعَةٌ عَشْرٌ وَجْهًا مِنْهَا صَاحِبُهَا فِيهَا بِالْخِيَارِ إِنْ شَاءَ صَامَ وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ، وَصَوْمُ الْإِذْنِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَوْجِهِ، وَصَوْمُ التَّأْدِيبِ، وَصَوْمُ الْإِبَاحَةِ، وَصَوْمُ السَّفَرِ وَالْمَرَضِ، قُلْتُ: جُعِلَتْ فِدَاكَ فَسِرْهُنَّ لِي. قَالَ: فَأَمَّا الْوَاجِبُ فَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ لِمَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عَمْدًا مُتَعَمِّدًا، وَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ فِي كَفَّارَةِ الظَّهَارِ قَالَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا... ﴾ [المجادلة، ٣-٤].

- وصيام شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق واجب لقول الله عزوجل: ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ ﴾ [النساء، ٩٢]
- وصيام ثلاثة أيام في كفارة اليمين واجب لمن لم يجد الإطعام قال الله عزوجل: ﴿ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، ذَلِكَ كَفَّارَةٌ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ﴾ [المائدة، ٨٩]
- وصيام أذى حلق الرأس واجب قال عزوجل: ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ﴾ [البقرة، ١٩٦] فصاحبها فيها بالخيار فإن صام صام ثلاثاً.
- وصوم دم المنعة واجب لمن لم يجد الهدي قال الله تعالى: ﴿ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ... ﴾ [البقرة، ١٩٦]
- وصوم جزاء الصيد واجب قال الله عزوجل: ﴿ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدِيًّا بِأَلْغِ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا ﴾ [المائدة ١، ٩٥]

ثم قال: أو تدري كيف يكون عدل ذلك صياماً يا زُهْرِيُّ؟ قال: قلت: لا أدري قال: يُقَوِّمُ الصَّيْدَ قِيَمَةً ثُمَّ تُقَضُّ تِلْكَ الْقِيَمَةُ عَلَى الْبُرِّ ثُمَّ يُكَالُ ذَلِكَ الْبُرُّ أَصْوَاعًا فَيَصُومُ لِكُلِّ نِصْفِ صَاعٍ يَوْمًا، وَصَوْمُ النَّذْرِ وَاجِبٌ، وَصَوْمُ الْإِعْتِكَافِ وَاجِبٌ.

وأما الصَّوْمُ الْحَرَامُ: فَصَوْمُ يَوْمِ الْفِطْرِ، وَيَوْمِ الْأَضْحَى، وَثَلَاثَةُ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، وَصَوْمُ يَوْمِ الشَّكِّ أَمْرًا بِهِ وَنُهْيًا عَنْهُ، أَمْرًا أَنْ نَصُومَهُ مَعَ شَعْبَانَ وَنُهْيًا عَنْهُ أَنْ يَنْفَرَدَ الرَّجُلُ بِصِيَامِهِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي يَشْكُ فِيهِ النَّاسُ، فَقُلْتُ لَهُ جُعِلَتْ فِدَاكَ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ صَامَ مِنْ شَعْبَانَ شَيْئًا كَيْفَ يَصْنَعُ؟ قَالَ: يَنْوِي لَيْلَةَ الشَّكِّ أَنَّهُ صَائِمٌ مِنْ شَعْبَانَ فَإِنْ كَانَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ أَجْزَأَ عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ شَعْبَانَ لَمْ يَضُرَّهُ، فَقُلْتُ لَهُ: وَكَيْفَ يُجْزِي صَوْمٌ تَطَوُّعٍ عَنْ صَوْمِ فَرِيضَةٍ؟ فَقَالَ: لَوْ أَنَّ رَجُلًا صَامَ يَوْمًا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ تَطَوُّعًا وَهُوَ لَا يَدْرِي وَلَا يَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ ثُمَّ عَلِمَ

بعد ذلك أجزأ عنه، لأنَّ الفَرَضَ إِنَّمَا وَقَعَ عَلَى اليَوْمِ بَعَيْنِهِ، وصوم الوِصَالِ حَرَامٌ، وصوم الصَّمْتِ حَرَامٌ، وصوم نَذْرِ المَعْصِيَةِ حَرَامٌ، وصوم الدَّهْرِ حرام.

وأما الصَّوْمُ الَّذِي يَكُونُ صَاحِبُهُ فِيهِ بِالخِيَارِ فَصَوْمُ يَوْمِ الجُمُعَةِ، والخميس، والاثنين وصوم البيض، وصوم سِتَّةِ أَيَّامٍ مِنْ شَوَّالٍ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ، وصوم يَوْمِ عَرَفَةَ، ويوم عَاشُورَاءَ، كُلُّ ذَلِكَ صَاحِبُهُ فِيهِ بِالخِيَارِ إِنْ شَاءَ صَامَ وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ.

وأما صوم الإِذْنِ فَإِنَّ المَرْأَةَ لَا تَصُومُ تَطَوُّعًا إِلَّا بِإِذْنِ رَوْجِهَا، والعَبْدُ لَا يَصُومُ تَطَوُّعًا إِلَّا بِإِذْنِ سَيِّدِهِ، وَالصَّيْفُ لَا يَصُومُ تَطَوُّعًا إِلَّا بِإِذْنِ صَاحِبِهِ...

وأما صَوْمُ التَّأْدِيبِ فَإِنَّهُ يُؤَمَّرُ الصَّبِيُّ إِذَا رَاهَقَ بِالصَّوْمِ تَأْدِيبًا وَلَيْسَ بِفِرْضٍ، وكذلك من أَفْطَرَ لِعَلَّةٍ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ ثُمَّ قَوِيَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرٌ بِالْإِمْسَاكِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ تَأْدِيبًا وَلَيْسَ بِفِرْضٍ، وكذلك المَسَافِرُ إِذَا أَكَلَ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ ثُمَّ قَدَّمَ أَهْلَهُ أَمْرٌ بِالْإِمْسَاكِ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ تَأْدِيبًا وَلَيْسَ بِفِرْضٍ.

وأما صَوْمُ الإِبَاحَةِ فَمَنْ أَكَلَ أَوْ شَرِبَ نَاسِيًا أَوْ تَقِيًّا مِنْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ فَقَدْ أَبَاحَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ ذَلِكَ لَهُ وَأَجْزَأَ عَنْهُ صَوْمَهُ.

وأما صَوْمُ السَّفَرِ وَالْمَرَضِ فَإِنَّ العَامَّةَ اخْتَلَفَتْ فِيهِ فَقَالَ قَوْمٌ: يَصُومُ وَقَالَ قَوْمٌ: لَا يَصُومُ وَقَالَ قَوْمٌ: إِنْ شَاءَ صَامَ وَإِنْ شَاءَ أَفْطَرَ، فَأَمَّا نَحْنُ فَنَقُولُ: يَفْطَرُ فِي الحَالَتَيْنِ جَمِيعًا إِذَا صَامَ فِي السَّفَرِ أَوْ فِي حَالِ المَرَضِ فَعَلِيهِ القَضَاءُ فِي ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة، ١٨٤] (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٧٧/٢)

يشير هذا الحديث وهو باب وجوه الصوم إلى أَنَّ زَيْنَ العَابِدِينَ ذَكَرَ أَنْوَاعَ الصَّوْمِ مُجْمَلًا، وَقَدْ طَلَبَ إِلَيْهِ الزَّهْرِيُّ تَفْسِيرَ مَا ذَكَرَ، فَقَامَ الإِمَامُ بِتَفْصِيلِ مَا ذَكَرَ مِنْ وَجْهِ الصَّوْمِ، وَبَنَى الحَدِيثَ عَلَى عِلَاقَةِ الإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ يَزِيدُ مِنْ غِزَارَةِ المَعَانِي المَتَوَلِّدَةِ مِنْ تَفْصِيلِ مَا أَجْمَلَ مِنْ أَنْوَاعِ وَجْهِ الصَّوْمِ. إِنَّ عِلَاقَةَ الإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ قَدْ شَغَلَتْ حِيزًا كَبِيرًا فِي النِّصِّ، وَقَدْ جَعَلَتْ هَذِهِ العِلَاقَةُ النَّصَّ الشَّرِيفَ بِنَاءً قَائِمًا، وَمِنْهُ الاستِمْرَارِيَّةُ فِي إِيْضَاحِ مَعْنَاهُ، فَالتَّفْصِيلُ قَدْ حَقَّقَ رِبْطًا دَلَالِيًّا لِلجُمْلِ الَّتِي قَبْلَهُ.

وَفِي نَصِّ آخِرِ نَجْدِ الإِجْمَالِ وَاضِحًا، وَقَدْ احْتِاجَ إِلَى التَّفْصِيلِ الَّذِي جَاءَ بَعْدَهُ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَعَلِّي عَلَيْهِ السَّلَامُ: "يَا عَلِيُّ: ثَلَاثٌ لَا تُطِيقُهَا هَذِهِ الأُمَّةُ: المَوَاسَاةُ لِلأَخِ فِي مَالِهِ، وَإِنصَافُ

النَّاسُ مِنْ نَفْسِهِ، وَذِكْرُ اللَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلَيْسَ هُوَ سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَكِنْ إِذَا وَرَدَ عَلَى مَا يَحْرُمُ عَلَيْهِ خَافَ اللَّهُ عَزَّوَجَلَّ عِنْدَهُ وَتَرَكَهُ". (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٣٥٨/٤)

فقد فصل ما أجمل في قوله: (ثلاث لا تطيقها هذا الأمة) بما جاء بعدها من المواصلة للأخ في ماله، وإنصاف النَّاسِ مِنْ نَفْسِهِ، وذكر الله على كل حال. نجد أنَّ (الإجمال والتفصيل) يشغل مجالاً واسعاً من النَّصِّ المقامي لدى المنشيء، وقد أبان التفصيل مدلولاتها، وبذلك جعل النَّصَّ متماسكاً قد أحكمت جملة.

وجاء الإجمال في اللفظة المفردة، والتفصيل كان في التركيب على عكس القاعدة الموضوعية التي تريد أن يكون التفصيل بالمفرد، وقد جاء ذلك في قول أمير المؤمنين عليه السلام "جَمَعَ الْخَيْرُ كُلَّهُ فِي ثَلَاثِ خِصَالٍ: النَّظْرُ وَالسُّكُوتُ وَالْكَلامُ، فَكُلُّ نَظْرٍ لَيْسَ فِيهِ اعْتِبَارٌ فَهُوَ سَهْوٌ، وَكُلُّ كَلَامٍ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرٌ فَهُوَ لُغْوٌ، وَكُلُّ سُكُوتٍ لَيْسَ فِيهِ فِكْرَةٌ فَهُوَ غَفْلَةٌ، فَطُوبَى لِمَنْ كَانَ نَظْرُهُ عِبْرًا، وَسُكُوتُهُ فِكْرًا، وَكَلَامُهُ ذِكْرًا، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ، وَأَمِنَ النَّاسَ شَرَّهُ". (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٤٠٥/٤)

نلاحظ في بداية النَّصِّ إجمالاً متمثلاً بقوله: (جمع الخير كله في ثلاث خصال: النظر والسكوت والكلام)، وهذا النَّصُّ الْمُجْمَلُ الَّذِي جَمَعَ مَعْنَى الْخِصَالِ الَّتِي فِيهَا الْخَيْرُ، لَا يَتِيحُ لِلْقَارِئِ مَعْرِفَةَ الْمُرَادِ مِنْهُ وَتَقْيِيدَهُ، لِذَا جَاءَتْ الْجُمْلُ مَتَوَالِيَةً لِتَفْصِيلِ مَا يَقُولُهُ وَرَفَعَ الْغَمُوضَ عَنْهُ، فَبَدَأَ بِبَيَانِ مَرَاتِبِ الْخَيْرِ وَتَحْدِيدِهَا وَمَعْرِفَتِهَا، وَهَذَا التَّفْصِيلُ بَعْدَ الْإِجْمَالِ سَاهَمَ فِي خَلْقِ اسْتِمْرَارِيَّةِ الْمَعْنَى لِلنَّصِّ، فَضلاً عَنْ جَعْلِ النَّصِّ أَكْثَرَ تَوْحِيداً.

ونلاحظ في كتاب من لا يحضره الفقيه أنَّ العدد في علاقة الإجمال والتفصيل قد شغل مجالاً واسعاً في نصوصه ومن ذلك: قول الإمام الصادق عليه السلام في باب أصناف القضاة ووجوه الحكم أنَّ "القضاة أربعة: ثلاثة في النَّارِ وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ رَجُلٌ قَضَى بِجَوْرِ وَهُوَ يَعْلَمُ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى بِجَوْرِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى بِحَقٍّ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى بِالْحَقِّ وَهُوَ يَعْلَمُ فَهُوَ فِي الْجَنَّةِ". (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٤/٣)

شدد الإسلام على خطورة منصب القضاء؛ لأنَّ أُمَّمٌ أُمْرٌ فِي الْقَضَاءِ هُوَ تَحْقِيقُ الْعَدَالَةِ، وَإِقَامَةُ الْقِسْطِ فِي الْمَجْتَمَعِ، لِذَا عَرَضَ الْإِمَامُ فِي هَذَا النَّصِّ أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ مِنَ الْقَضَاءِ عَنْ طَرِيقِ الْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ، فَالْإِجْمَالُ فِي قَوْلِهِ: (القضاة أربعة) والتفصيل في تعدد أنواعهم. ونلاحظ هنا أنَّ الإمام كَرَّرَ لَفْظَ (رجل) وجملة (فهو في النار) لينتبه المتلقي إلى ضرورة ما يقوله وأهميته. ويتبين أنَّ هذا التَّقْسِيمَ بِحَسَبِ الْوُجُودِ لَا بِحَسَبِ الْحُكْمِ، وَمَعْرُوفٌ أَنَّ مَرْتَبَةَ الْقَضَاءِ شَرِيفَةٌ وَمَنْزِلَتُهُ رَفِيعَةٌ لِمَنْ اتَّبَعَ الْحَقَّ وَحَكَمَ عَلَى عِلْمٍ بِغَيْرِ هَوَى، وَفِيهِ إِنْذَارٌ عَظِيمٌ لِلْقَضَاءِ التَّارِكِينَ لِلْعَدْلِ

والأعمال والمقصرين في تحصيل رتب الكمال، فيتعين على كلِّ من ابتلي بالقضاء أن يتمسك من أسباب التقوى بما يكون له جُنَّة من عذاب الله. (المنائي، ١٣٥٦هـ، صفحة ٥٣٨/٤)

ونلاحظ أنَّ التَّفصيل قد ساعد على تفسير المبهم، وزاد في تقوية المعنى والتماسك بين الجمل المكونة لنص الحديث الشريف.

ومثاله أيضا ما ورد في قول رسول الله: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُرَكِّبُهُمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ جَبَّارٌ، وَمَقَلٌّ مُخْتَالٌ". (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٢١/٤).

ابتداءً رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِ(ثَلَاثَةٌ) وهي نكرة منونة، لا يعلم معنى تنكيرها لما هي عليه من إبهام (لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم...) يظهر الآن معنى التنكير، وهو الحرمان من رضى الله ورحمته، فيكلمهم الله سبحانه وتعالى بكلام أهل السُّخْطِ وَالْغَضَبِ، كما أنه لا ينظر إليهم نظرة إنعام وإفضال، وَلَا يُطَهِّرُهُمْ مِنْ دَنَسِ الدُّنُوبِ، ولهم عذابٌ أَلِيمٌ وهي جملة اسمية تدلُّ على الدَّوامِ وَالثَّبُوتِ، تقدم فيها الخبر على المبتدأ، ثم بوصف المبتدأ وصفاً على المبالغة، فتقطع كُلُّ وَهُمْ يستبقي لهم شيئاً قليلاً من الأمل. إِنَّ الثَّلَاثَةَ مَا يَزَالُ أَمْرُهُمْ مَبْهَمًا، وَإِنَّ السُّخْطَ وَالْغَضَبَ عَظِيمًا، لذا يجب التعريف بهم، وقد استطاع التَّفصيل النُّهُوضَ بِهَذِهِ الْمُهِمَّةِ، فذكر رسول الله هُوَلاءِ الثَّلَاثَةِ وَهُمْ: الشَّيْخُ الزَّانِي، وَالْمَلِكُ الْجَبَّارُ، وَالْمَقَلُّ الْمُخْتَالُ. وَخَصَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ هُوَلاءِ الثَّلَاثَةِ مِنْ بَيْنِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ مِنْ مَرْتَكِبِي الْمَعَاصِي قَدْ عَدِمَ الْمَالَ وَهُوَ سَبَبُ الْخِيَلَاءِ، فَلَمَّاذَا يَسْتَكْبِرُ وَيَحْتَقِرُ غَيْرُهُ بِهَذَا الْوَعِيدِ؛ لِأَنَّ كَلًّا مِنْهُمْ التَّرَمُّ الْمَعْصِيَّةَ مَعَ عَدَمِ ضَرُورَتِهِ إِلَيْهَا وَضَعْفِ دَاعِيَتِهَا عِنْدَهُ فَأَشْبَهَ إِقْدَامَهُمْ عَلَيْهَا الْمَعَانِدَةَ وَالِاسْتِخْفَافَ بِحَقِّ اللَّهِ وَقَصْدَ مَعْصِيَتِهِ لَا لِحَاجَةٍ غَيْرِهَا، فَالشَّيْخُ قَدْ ضَعُفَتْ دَوَاعِي الشَّهْوَةِ فِيهِ، وَالْمَلِكُ لَا يَخْشَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَقَلُّ، فَصَارَتْ هَذِهِ الْخِصَالُ الثَّلَاثُ عَزِيْزَةً فِي هُوَلاءِ الثَّلَاثَةِ، فَكَانَ عَذَابُهُمْ أَشَدَّ مِنْ عَذَابِ غَيْرِهِمْ. (السيوطي، ١٩٩٦م، صفحة ١٢٢/١)

إِنَّ التَّفصيل هو بمثابة دلالة الوصل التي صار النَّصُّ بِهَا مُتَسَقًا مَقْبُولًا. فَقَدْ تَحَقَّقَ التَّمَّاسُكُ بَيْنَ الْجُمْلِ الْمَكُونَةِ لَهَا مِنْ خِلَالِ تَفْسِيرِ مَا سَبَقَ ذَكَرَهُ مَجْمَلًا فِي صُورَةِ الْعَدَدِ (ثَلَاثَةٌ).

يتضح من ذلك إنَّ كُلَّ لَفْظٍ مُجْمَلٍ وَرَدَ ذِكْرُهُ سَابِقًا فِي حَاجَةٍ إِلَى مَا يَفْسِرُهُ وَيُزِيلُ إِبْهَامَهُ وَغَمُوضَهُ، وَهُوَ مَا تَحَقَّقَ فِي الْجُمْلِ الَّتِي تَلَتْ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ الْعَدَدِيَّةَ، مِمَّا حَقَّقَ الرِّبْطَ وَالِاتِّسَاقَ فِي نُصُوصِ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ. وَلَا تَتَقَيَّدُ عِلَاقَةُ التَّفصيلِ بَعْدَ الْإِجْمَالِ عَلَى إِيرَادِ لَفْظٍ عَدَدِيٍّ مَبْهَمٍ فِي الْكَلَامِ، وَإِنَّمَا قَدْ يَحْصُلُ مِنْ خِلَالِ تَقْدِيمِ الْمَعْنَى بِمَا يَحْمِلُ مَضْمُونًا غَيْرَ وَاضِحٍ يَدْعُو إِلَى الْإِسْتِفْسَارِ وَالِإِيضَاحِ.

٢- العلاقة السببية:

تأتي هذه العلاقة لِتَرْبِطَ بين حدثين أو مفهومين يكون أحدهما سبباً في حدوث الآخر وبالتالي يكون الآخر نتيجة له، (عبد المجيد، ١٩٩٨م، صفحة ١٤٢) وتشير إحدى تعريفات هذه العلاقة إلى أنها "الطرق والوسائل التي فيها يؤثر موقف، أو حدث على الظُّروف المُهيَّنة لوقوع حدث آخر من ذلك مثلاً: "سقط جاك وكُسر تاجه" إنَّ حادث السقوط أدى إلى حدوث الكسر؛ أي: أنه خلق الظروف الضرورية التي أدت وقوع الحدث الثاني". (حسنين، د.ت، صفحة ٢٢٨)

وقد جاءت بناءات السَّبب والنتيجة ضَمْنِيَّة في النُّصوص ومنتوعة، منها ذُكر سبب واحد ونتيجة واحدة على وفق الترتيب المنطقي يذكر السَّبب ثمَّ النتيجة. وهذا ما جاء في قول أبي جعفر عليه السلام في فضل سقي الماء: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحِبُّ إِزَادَ الْكَيْدِ الْحَرَى، وَمَنْ سَقَى كَيْدًا حَرَى مِنْ بَهِيمَةٍ أَوْ غَيْرِهَا أَظْلَهُ اللَّهُ فِي ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ". (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٦٤/٢)

أراد الإمام من قوله الحثُّ على بذل المعروف، فقد وسَّع الإسلام دائرة الصَّدقة والإحسان حتى شملت الإحسان الحيوان، وأراد بكَيْدِ حَرَى، حياة صاحبها؛ لأنَّه إنَّما تكون كَيْدِ حَرَى إذا كان فيه حياة يعني في سقي كُلِّ ذي روح من الحيوان أجر. ومن يفعل ذلك يكون سبباً في أن يسكنه الله في ظل عرشه، أو يدخله الله في كَنْفِ رحمته. (المجلسي، ١٣٩٩هـ، صفحة ١٨٨/١٦) نلاحظ أنَّ العلاقة السببية قد ساعدت على تَقْوِيَةِ الْعَلَاقَةِ بَيْنَ الْجُمَلِ الْمَكُونَةِ لِنَصِّ الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ.

ونجد مثلاً هذا كثيراً في نُصُوصِ كِتَابِ مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيهَ أَي: وجود سبب واحد ونتيجة واحدة ومنها ما روي أنَّ في التوراة مكتوباً "إِنَّ بُيُوتِي فِي الْأَرْضِ الْمَسَاجِدِ، فَطُوبَى لِعَبْدٍ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ زَارَنِي فِي بَيْتِي، أَلَا إِنَّ عَلَى الْمَزُورِ كَرَامَةَ الرَّائِرِ، أَلَا بَشَرُ الْمَشَائِينِ فِي الظُّلْمَاتِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ السَّاطِعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ". (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٢٣٩/١)

إنَّ أَصْلَ دُخُولِ الْمَسَاجِدِ عِبَادَةٌ، وَيَسْتَحِبُّ الطَّهَارَةُ لِدُخُولِ الْمَسَاجِدِ، وَالتَّأَكِيدُ عَلَى فَضِيلَةِ الْمَشْيِ إِلَيْهَا، وَعُمْرَانُهَا بِكَثْرَةِ التَّرَدُّدِ إِلَيْهَا وَإِعْطَاؤُهَا دُورَ الْمَحُورِيَّةِ فِي الْحَرَكَةِ الَّتِي تَقُومُ بِهَا حَتَّى تَكُونَ هَذِهِ الْأَعْمَالُ مَقْبُولَةً وَتَحْتَ عِنَايَةِ اللَّهِ.

يبدو أنَّ الْعَلَاقَةَ السَّبْبِيَّةَ قَدْ تَحَقَّقَتْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ خِلَالِ التَّلَازِمِ بَيْنَ قَوْلِهِ (بَشَرُ الْمَشَائِينِ فِي الظُّلْمَاتِ إِلَى الْمَسَاجِدِ) وَقَوْلِهِ (بِالنُّورِ السَّاطِعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). وَفِي وَصْفِ النُّورِ بِالسَّاطِعِ وَتَقْيِيدِهِ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ تَلْمِيحٌ إِلَى وَجْهِ

المؤمن يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿ نورهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَنْعِمْنَا لَنَا نُورَنَا ﴾ [التحريم: الآية ٨] وإلى وجه المنافقين في قوله تعالى: ﴿ أَنْظِرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ ﴾ [الحديد: الآية ١٣] وقد نتج عن الملازمة بين هذه الألفاظ ودخولها في سياق لغوي واحد ارتباط نص الحديث ووقوع الإنسجام والائتلاف بين الجمل المكوّنة له. وخلاصة القول أنّ النور الساطع للمؤمن يوم القيامة سببه المشي في الظلمات إلى المساجد.

وقد نجد في بعض النصوص أنّ العلاقة السببية قد أُقيمت على سبب واحد ونتيجتان ومن ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام في فضل النظر إلى الكعبة: "مَنْ نَظَرَ إِلَى الْكَعْبَةِ عَارِفًا فَعَرَفَ مِنْ حَقِّهَا وَحُرْمَتِهَا مِثْلَ الَّذِي عَرَفَ مِنْ حَقِّهَا وَحُرْمَتِهَا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ كُلَّهَا وَكَفَّاهُ هَمَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ". (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٢/٢٠٤).

جاء في المحجّة البيضاء في حكمة النظر إلى الكعبة: "وأما وقوع البصر على البيت فينبغي أن تحضّر عنده عظمة البيت في القلب وتقدّر كأنك مشاهد لرب البيت، وأرج أن يرزقك لقاءه كما رزقك لقاء البيت، واشكر الله على تبليغه إيّاك هذه الرتبة، وإلحاقه إيّاك بزمرة الوافدين إليه، واذكر عند ذلك انقسام الناس إلى مأذونين في الدخول في الجنة، ومصروفين عنه انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين". (الفيض الكاشاني، ١٤١٧هـ، صفحة ٢/١٠٢) وقد أراد الإمام أن يدلّل على أنّ من يعرف حقّ الكعبة وحرمتها ويعرف حقّ وحُرمة آل محمد، يكون سببا لنتيجة وهي أن يغفر الله ذنوبه، ولم يكنف بذلك، بل عطف عليها نتيجة أخرى بالسبب نفسه ويكفيه الله همّ الدنيا والآخرة. ونلاحظ أنّ الإمام عن طريق هذه العلاقة مرّر قصده للمتلقّي. وهكذا عملت علاقة السبب والنتيجة على ربط أجزاء الحديث دلاليًا.

ونجد في بعض النصوص أنّها أُقيمت على سبب واحد ونتيجة واحدة وسبب واحد ونتيجتين ومن ذلك: "حَلَالٌ بَيِّنٌ، وَحَرَامٌ بَيِّنٌ، وَشُبُهَاتٌ بَيْنَ ذَلِكَ، فَمَنْ تَرَكَ الشُّبُهَاتِ نَجَا مِنَ الْمُحْرَمَاتِ، وَمَنْ أَخَذَ بِالشُّبُهَاتِ ارْتَكَبَ الْمُحْرَمَاتِ وَهَلَكَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ". (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٣/١٠)

يدلّ الحديث على بيان تقسيم الأشياء في الشريعة إلى حلال بيّن، وحرام بيّن، ومشتبه متردّد بينهما. (فمن ترك الشبهات) أي لم يُفتَ ولم يحكم ولم يعمل بالشبهات (نجا من المحرمات) وحافظ الإنسان على دينه من النقص. (ومن أخذ بالشبهات) أي بالإفتاء أو الحكم أو العمل بها (ارتكب المحرمات) يعني ارتكابه للمحرمات وهلاكه باستحقاقه للعذاب لأجل عدم علمه بأحقيّته وما أخذ به وحقّيقته. فأَنَّ الإنسان إذا وقع في الأمور المشتبهة هان عليه أن يقع في الأمور الواضحة ويرتكب المحرمات. (المازندراني، ٢٠٠٠م، صفحة ٤/٦١) فالربط بين القولين ساعد على تقوية الدلالة وتوضيحها وتقوية العلاقة بين أجزاء النص وتماسكها.

وجاء في قول الإمام الصادق عليه السلام لبعض أصحابه: "اسْتَأْصِلْ شَعْرَكَ يَقِلَّ دَرْنُهُ وَ دَوَابُّهُ وَ وَسْخُهُ، وَتَغْلُظُ رَقَبَتُكَ، وَيَجْلُو بَصْرُكَ، وَيَسْتَرِيحُ بَدْنُكَ". (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ١/١٢٩)

نلاحظ في هذه العلاقة وجود سبب واحد وهو (حلق الشعر) في حين تتعدد النتائج التي ترتبط بذلك السبب وهي: يقل درنه ودوابه وسخه، وتغلظ رقبتك، ويجلو بصرك، ويستريح بدنك. ونلاحظ أن الربط قد وقع بين القولين بدون أداة ربط؛ لأن القول الثاني جاء مفسراً أو معللاً لقوله عليه السلام (استأصل شعرك)، ولكن التماسك بين نص الحديث كان تماسكاً دلاليًا قام على علاقة السبب والنتيجة.

وقد ترد هذه العلاقة بشكل عكسي في نصوص كتاب من لا يحضره الفقيه، إذ ترد النتيجة قبل السبب ومن ذلك ما جاء في حُطْبَةِ الإِسْتِسْقَاءِ للإمام عليّ عليه السلام: "سَيِّدِي سَاخَتْ جِبَالُنَا، وَاغْبَرَّتْ أَرْضُنَا، وَهَامَتْ دَوَابُّنَا وَقَنَطَ النَّاسُ مِنَّا أَوْ مِنْ قَنَطَ مِنْهُمْ، وَتَاهَتْ الْبِهَائِمُ وَتَحِيرَتْ فِي مَرَاتِعِهَا، وَعَجَّتْ عَجِيحُ النَّكَالِي عَلَى أَوْلَادِهَا وَمَلَّتِ الدَّورَانَ فِي مَرَاتِعِهَا، حِينَ حُبِسَتْ عَنْهَا قَطْرُ السَّمَاءِ، فَذَقَّ لَذِكْ عَظْمِهَا وَذَهَبَ لَحْمُهَا، وَذَابَ شَحْمِهَا، وَانْقَطَعَ دَرُّهَا، اللَّهُمَّ ارْحَمْ أَنْيْنَ الْآئِنَةِ، وَحَنِينَ الْحَائَةِ ارْحَمْ تَحْيَرَهَا فِي مَرَاتِعِهَا وَأَنْيْنَهَا فِي مَرَابِضِهَا". (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ١/٥٣٥)

السبب

النتائج

حين حبست عنها قطر السماء

سيدي ساخت جبالنا

واغربت أرضنا

وهامت دوابنا وقنط الناس منا أو من قنط منهم

وتاهت البهائم وتحيرت في مراتعها

وعجت عجيج النكالي على أولادها وملت الدوران في مراتعها

إنّ في هذا الجزء من حُطْبَةِ الإِسْتِسْقَاءِ، يَتَوَجَّهُ بالدُّعَاءِ إِلَى اللَّهِ فِي ذَاتِ سَنَةِ مَنَعَتْ فِيهَا السَّمَاءُ بَرَكَاتِهَا عَنِ الْأَرْضِ وَأَهْلِهَا حَتَّى ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ بِمَا رَحِبَتْ، لِيَرْحَمَ الْعِبَادَ، فَذَا اشْتَدَّ الْفَرْعُ فِإِلَى اللَّهِ الْمَفْرَعُ، وَقَدْ ابْتَدَأَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذِكْرِ الدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ لِأَنَّهَا أَقْرَبُ إِلَى الرَّحْمَةِ وَ مِظْنَةَ الْأَفْضَالِ بِهَا عَلَى الْمَذْنِبِينَ مِنَ الْأُمَّةِ، اقْتِنَاءً بِسَنَةِ رَسُولِ اللَّهِ ص فَقَالَ: "لَوْلَا الْبِهَائِمُ الرَّتَّعُ وَالصَّبِيانُ الرُّضْعُ وَ الشُّيُوخُ الرَّكْعُ لَصَبَّ عَلَيْكُمْ الْعَذَابُ صَبًّا." (ابن أبي

الحديد، ١٩٩٨م، صفحة ٢٦٥/١) ويبدو أنّ تقديم الإمام النتيجة قبل ذكره السبب كان لأجل التّريغيب والتّطميع للقارئ، فنتيجة الجذب والقحط وعودة الأنعام إلى مراعيها وهي لا تجد ما كانت تعتاد عليه من مأكّل ومشرب، كان سببها عدم هطول الأمطار فهذا النّص قد تحكمت فيه علاقة السببية بصورة واضحة، دلّت عليها البنى اللغوية التي ترتبت عليها الفكرة، فقد قدّم الإمام لنا فكرة دلالاتها واضحة، وتطرق إلى معانٍ من خلال ربط ضمني بدون أداة ربط، لأنّ القول الثاني جاء مفسراً ومعلّلاً لقوله "ساخت جبالنا، حين حبست عنها قُطر السّماء، واغربت أرضنا، وهامت دوابنا وقنط الناس منا، وتاهت البهائم وتحيرت في مراتعها..." وقد أدّى ذلك إلى الانسجام بين الجمل من دون استخدام أداة الربط.

وهكذا ساعدت العلاقة السببية على التماسك بين جانبي الأحاديث، وتقوية دلالاتها، وتوضيح ما تضمنته من النّعاليم والنّصائح.

٣- علاقة السؤال والجواب:

تعدّ وسيلة العلاقة بين السؤال والجواب من الوسائل التي أسهمت في تحقيق الاتّساق الدلالي بين الجمل المكوّنة للحديث الشّريف. فالحديث الشّريف اتخذ من هذه العلاقة مجالاً واسعاً، لتقرير المعاني وزيادة الإيضاح، إذ تقوم هذه العلاقة بدور أساسي في تشكيل نسيج الحوار الداخلي في النّص. ومن الجدير بالذكر أنّ الحوار غالباً ما يأتي في صورة سؤال وجواب، فهو "أسلوب محبب إلى النفس، يضفي الحيويّة على النّص الأدبيّ، ويدفع الملل والشروء، ويشدّ انتباه السّامع، ويجعل الإقبال على متابعة النّص أشدّ، والدّهن أكثر تفتحاً وتجاوباً" (الصّبّاغ، ١٩٨١م، صفحة ٩٦)

وقد كان الرّسول صلّى الله عليه وآله وسلّم والأئمة عليهم السلام يتخذونه أداة تعليمية يلجؤون إليه ليحركوا أذهان المسلمين في الموضوع الذي يريدون أن يتحدثوا فيه، حتى إذا انتهى أحدهم إلى نتيجة بسبب هذه الإثارة الذهنية تطلع إلى الرسول عليه الصلاة والسلام أو إلى أحد الأئمة يصغي لحديثه وينظر إليهم: هل وفق إلى سداد؟ وتبرز علاقة السؤال بالحواب من خلال أدوات الاستفهام (الهمزة، هل، من، ما، أي... إلخ).

ومن الأمثلة على ذلك ما نجده في باب صلاة الجماعة وفضلها "صلّى رسول الله صلى الله عليه وآله الفجر ذات يوم فلما انصرف أقبل بوجهه على أصحابه فسأل عن أناس يُسمّونهم بأسمائهم هل حَضَرُوا الصّلاة؟ قالوا: لا يا رسول الله فقال: غُيِّبَ هُمْ فقالوا: لا يا رسول الله، قال: أما إنّه لئيس من صلاةٍ أثقل على المُنَافِقين من هذه الصلاة وصلاة العشاء الآخرة، ولو عَلِمُوا الفُضْلَ الَّذِي فِيهِمَا لَأَتَوْهُمَا ولو حَبُوباً". (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٣٧٦/١)

يدلُّ الحديث على أَفْضَلِيَّةِ الْجَمَاعَةِ فِي الصَّلَاتَيْنِ لِمَشَقَّتَيْهِمَا، وَالْحُبُّ فِي اللُّغَةِ: "أَنْ يَمْشِيَ عَلَى يَدَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ، أَوْ اسْتَه. وَحَبًّا النَّبِيرُ إِذَا بَرَكَ ثُمَّ رَحَفَ مِنَ الْإِغْيَاءِ. وَحَبًّا الصَّبِيُّ: إِذَا رَحَفَ عَلَى اسْتِهِ". (ابن الأثير، ١٩٧٩م، صفحة ٣٣٦/١) ونلاحظ في النَّصِّ حذف جملة الجواب واكتفى بحرف الجواب (لا). وقد دلَّ عليه ما ذكرنا في جملة الاستفهام، والتقدير: (لا لم يحضروا في جملة الاستفهام الأولى، وتقدير جملة الاستفهام الثانية لا لم يكونوا غيب)، وقد حذف همزة الاستفهام من الجملة الاستفهامية الثانية وأدى الحذف إلى اتساق جملة الاستفهام وترابطها مع جملة الجواب، وقد تمَّ تقدير المحذوف وتحديدته بعد معرفة نصِّ السَّوَالِ فوظيفة الحذف سبب النَّصِّ عن طريق الإيجاز وعدم الإطالة وتقدير المحذوف يقع على عاتق المُفَسِّرِ والقارئ المدرك بذكائه لمكونات النص. فأسهمت علاقة السَّوَالِ والجواب في هذا النص في بناء حوار بين سائل ومجيب أعطى للنَّصِّ انسجامًا دلاليًّا واضحًا للمتلقِّي.

وقد يُورِدُ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم السَّوَالِ بشكل مُشَوِّقٍ يَرِغِبُهُمْ فِي أَنْ يَعْرِفُوا الْجَوَابِ، وَذَلِكَ كَأَنْ يَذَكَرُ لَهُمْ أَمْرًا عَظِيمًا، وَمِثَالُ ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصِّيَامِ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَصْحَابِهِ: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَبَاعَدَ الشَّيْطَانُ عَنْكُمْ كَمَا تَبَاعَدَ الْمَشْرِقُ مِنَ الْمَغْرِبِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الصَّوْمُ يُسَوِّدُ وَجْهَهُ، وَالصَّدَقَةُ تَكْسِرُ ظَهْرَهُ، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ وَالْمُؤَاذَرَةُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَقْطَعُ دَابِرَهُ، وَالِاسْتِغْفَارُ يَقْطَعُ وَتِينَهُ وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الْأَبْدَانِ الصِّيَامُ". (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٧٥/٢).

ويكثر هذا النَّوعُ فِي نُصُوصِ كِتَابِ مَنْ لَا يَحْضُرُهُ الْفَقِيه، وَأَكْثَرُ مَا جَاءَ مِنْهُ دَخُولُ هَمْزَةِ الْاسْتِفْهَامِ عَلَى الْأَدَاةِ (لا) فَالْكَتْسَبُ مَعْنَى الْعَرَضِ أَوْ مَعْنَى الْاسْتِفْتَاكِحِ بِحَسَبِ مَا يَمْلِكُهُ الْمَقَامُ.

ومن الأمثلة على استخدام الهمزة للاستفهام بغرض التشويق إلى الخبر ما جاء في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري قال: "كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وآله قال: فتذاكرنا النساء وفضل بعضهن على بعض، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ألا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ نِسَائِكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأُخْبِرْنَا، قَالَ: إِنَّ مِنْ خَيْرِ نِسَائِكُمُ الْوَالِدُ الْوَدُودَ، السَّتِيرَةُ الْعَفِيفَةُ الْعَزِيزَةُ فِي أَهْلِهَا، الدَّلِيلَةُ مَعَ بَغْلِهَا، الْمُتَبَرِّجَةُ مَعَ زَوْجِهَا، الْحَصَانُ مَعَ غَيْرِهِ، الَّتِي تَسْمَعُ قَوْلَهُ وَتَطِيعُ أَمْرَهُ، وَإِذَا خَلَا بِهَا بَدَّلَتْ لَهُ مَا أَرَادَ مِنْهَا وَلَمْ تَبْدُلْ لَهُ تَبْدُلَ الرَّجُلِ". (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٣٨٩/٣)

استفتح رسول الله صلى الله عليه وآله حديثه بـ(ألا) وهي كما يقول ابن هشام (ت ٧٦١هـ) تكون للتبنيهِ فتدل على تحقيق ما بعدها (ابن هشام، ١٣٧٨هـ، صفحة ٩٥/١)، ممَّا يَزِيدُ اِهْتِمَامَ الْمُخَاطَبِ لِمَا يُقَالُ، فَالسَّمَاعُ مُشَوِّقٌ إِلَى أَنْ يَعْرِفَ الْإِجَابَةَ، فَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي حَدِيثِهِ يَذَكَرُ مَا يَسْتَحِبُّ وَيُحْمَدُ مِنْ أَخْلَاقِ النِّسَاءِ وَصِفَاتِهِنَّ، وَقَدْ سَبَقَ حَدِيثُهُ هَذَا بِأَسْلُوبِ مُشَوِّقٍ، لَكِي يَأْخُذَ أَصْحَابَهُ نَحْوَ صِفَاتِ وَأَخْلَاقِ خَيْرِ النِّسَاءِ.

إنَّ الحوار في هذا الحديث جاء نتيجة سؤال مُهمّ يطرحه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فيهيئ الأذهان للسمع حتى لا يكون التقرير المُجَرَّد، ويأتي الجواب بعد ذلك. (الصباغ، ١٩٨١م، صفحة ١٠١)

وروي عن أبي بصير أنه سأل أبا جعفر الثاني عليه السلام عن: "المرأة تُضْرِبُ عَلَيْهَا الظِّلَالِ وهي مُحْرِمَةٌ؟ فقال: نَعَمْ، قلتُ: فالرجل يَضْرِبُ عَلَيْهِ الظِّلَالِ وهو مُحْرِمٌ؟ قال: نعم إذا كانت به شَقِيقَةٌ وَيَتَصَدَّقُ بِمُدِّ لِكُلِّ يَوْمٍ." (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٣٥٤/٢)

نلاحظ في النَّصِّ أنَّ جملة السؤال قد ارتبطت بجملة الجواب وعمل هذا الارتباط على أنشاء حوار داخل النص ما بين السائل والمجيب، فجواب الإمام عن سؤال أبي بصير يدلُّ على جواز التظليل للمرأة والمريض، وقد وضع شرطاً وهو وجوب الفداء على المريض دون المرأة، (المجلسي م.، ٢٠٠٩م، صفحة ٤٣٣/٤) فبذلك عملت علاقة السؤال بالجواب على ترابط المتواليات من الجمل المختلفة، وربطها في ضمن مفهوم دلالي.

ونلاحظ في قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في استحباب الجلوس مع الذين يذكرون الله ومع الذين يتذكرون العلم: "بَادِرُوا إِلَى رِيَاضِ الْجَنَّةِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا رِيَاضِ الْجَنَّةِ؟ قال: حَلَقُ الدُّعْرِ." (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٤٠٩/٤)

إن السؤال والجواب قد جاء بالجملة الاسمية، وقد حذف من جملة الجواب المبتدأ لدليل لفظي، وقد حققت علاقة السؤال بالجواب الربط بينهما، ونتج عن ذلك تماسك دلالي.

٤- العلاقة الشرطية:

قد يقوم التَّركيب الشرطيّ الَّذِي يربط بين جُمَلتي الشرط والجزاء، ويقع الثَّقَل الأكبر في الجملة الشرطيّة على الأداة، فهي التي تقوم بِمُهْمَةِ الرِّبْط الحيويِّ الصَّرُوريِّ بين التَّركيبين، إذ إنَّ لكلَّ من الشرط وجوابه جملة فعلية تامّة، فلمَّا دخلت عليهما أداة الشرط أحكمت ربطهما، وجعلتهما جملةً واحدة في انتقال إحداها إلى الأخرى، كافتقار المبتدأ للخبر (ابن يعيش، ٢٠٠١م، صفحة ٣٨٩/٢).

ومن أمثلة ما يقوم بهذا الربط (إذا، إن، من، لو، لولا) فهذه الأدوات كما يقول ابن يعيش (ت٦٤٣هـ): "تدخل على جملتين فتربط إحداها بالأخرى وتُصيرهما كالجملة" (ابن يعيش، ٢٠٠١م، صفحة ١٠٦/٥).

ومِمَّا قامَ فيه الرِّبَطُ في كتاب من لا يحضره الفقيه على أساس ربط جملتي الشرط والجزاء أو النتيجة بالسبب، قول أبي جعفر (عليه السلام): في باب التسليم على المُصَلِّي: "إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكَ مُسَلِّمٌ وَأَنْتَ فِي الصَّلَاةِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ تَقُولُ: "السَّلَامُ عَلَيْكَ" وَأَشْرُ بِإِصْبَعِكَ" (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٣٦٨/١)

(إذا) ظرف لما يستقبل من الزمان مَبْنِيَّةٌ؛ لإبهامها في المستقبل، وافترقاها إلى جملة بعدها توضحها، وتبينها حالها حال الموصولات في الكلام العربي.

استعان الحديث الشَّرِيفُ بأداة الشرط (إذا) التي فيها معنى احتمالية الوجود لا القطع، ثم تبع (إذا) الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي المضَعَّف، وجوابها جملة فعلية فعلها طلبي (أمر)، مُتَّصِلَةٌ بالفاء الرِّابِطَةُ، وقد اقترن بالفاء الرِّابِطَةُ؛ لكونه - أي الجواب - لا يصلح أن يكون جواباً للشرط؛ لأنَّه فعل طلبي (أمر)، واختصاص (الفاء) من بين الأدوات بالرِّبَطِ بين الشرط وجوابه عائد إلى مناسبتها الجزاء، فهي تفيد التَّعْقِيبَ بلا فصل كما يكون الجزاء متعقباً للشرط، فضلاً عن خفتها لفظاً، أو ربما كان ذلك لأمن اللبس فاقترن الجواب بها؛ لأنَّه يكون في بعض حالاته عرضةً للبس. (الرضي الاستريادي، ١٣٨٦هـ، صفحة ١١٥/٤)

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله قال: "إِذَا غَضِبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أُمَّةٍ ثُمَّ لَمْ يُنْزِلْ بِهَا الْعَذَابَ غَلَّتْ أَسْعَارُهَا، وَقَصُرَتْ أَعْمَارُهَا، وَلَمْ يَزْبَحْ تُجَارُهَا، وَلَمْ تَزُكْ ثِمَارُهَا، وَلَمْ تَغْرُزْ أَنْهَارُهَا وَحُبِسَ عَنْهَا أَمْطَارُهَا، وَسَلَطَ عَلَيْهَا أَشْرَارُهَا". (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٥٢٤/١)

نلاحظ استعمال هذه العلاقة في بناء النَّصِّ كُلِّهِ، فلم يقتصر عملاً لأداة (إذا) في الرِّبَطِ بين جملتي الشرط وجوابه، وإنما امتدَّ بين أكثر من جملة معطوفة، فشكَّلَ عناقيد من الدَّلالاتِ المتنوعة، ممَّا أسهم في إنسجام النَّصِّ والتَّوَعُّعِ في أداء المعنى (شبل، ٢٠٠٧م، صفحة ٢١٢). فالحديث الشريف يدخل في إطار السمو بأخلاق المسلم، وحثَّه على التَّوَالُصِ مع الآخرين.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله "مَنْ صَلَّى بِقَوْمٍ فَاخْتَصَّ نَفْسَهُ بِالِدُّعَاءِ دُونَهُمْ فَقَدْ خَانَهُمْ".

(الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٤٠٠/١).

استعمل الحديث الشَّرِيفُ الأداة (مَنْ) لخطاب العاقل من المسلمين متبوعاً بفعل ماضٍ؛ للدَّلالة على حصوله، وانتهاء زمنه في الماضي، إشارة منه إلى حصول هذه الأعمال في زمنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقد ربطت (مَنْ) الشَّرْطِيَّةَ بين جملة فعل الشرط (صلى) وجملة جوابه (فقد خانهم) وما عَطِفَ عليها، وبذلك يُعَدُّ التَّرْكِيبُ وما فيه من قرائن لفظية، ومعنوية الأثر الأكبر في تحديد المعنى المراد منه. (عيسى شحاتة، د.ت، صفحة ٣٥٥) فالحديث يدلُّ على استحباب دعاء الإمام بلفظ الجمع ويكره بالإنفراد وإن كان المنقول منفرداً.

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: "سُوقُ الْمُسْلِمِينَ كَمَسْجِدِهِمْ فَمَنْ سَبَقَ إِلَى مَكَانٍ فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ إِلَى اللَّيْلِ". (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ١٩٩/٣).

فقد ربطت أداة الشرط بين جملتين الأولى (سيق إلى مكان) والثانية (هو أحق به) وهاتان الجملتان لم تردا بصيغة المضارع، بل وردت الأولى بالفعل الماضي والثانية جملة أسمية دخلت عليها (الفاء) رابطة لها بالجملة الأولى، فقد جاء التقييد بالليل لأجل أن موضوع الكلام هو السوق، وقد شبه بالمسجد في أن السبق يوجب الأحقية، وبما أن المتعارف الخارجي قيام السوق إلى الليل واشتغال الكاسب في تمام النهار فلأجله حدده إلى الليل. (البروجردى، ١٣٦٤هـ، صفحة ٤١٥/٢).

ونجد أيضاً قول الصادق عليه السلام: "شَارِبُ الْخَمْرِ إِنْ مَرِضَ فَلَا تَعُوذُوهُ، وَإِنْ مَاتَ فَلَا تَشْهَدُوهُ، وَإِنْ شَهِدَ فَلَا تُزَكُّوهُ، وَإِنْ خَطَبَ إِلَيْكُمْ فَلَا تُزَوِّجُوهُ، فَإِنَّ مِنْ زَوْجِ ابْنَتِهِ شَارِبَ الْخَمْرِ فَكَأَنَّمَا قَادَهَا إِلَى الزَّيْنَاءِ، وَمَنْ زَوَّجَ ابْنَتَهُ مَخَالَفاً لَهُ عَلَى دِينِهِ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا..." (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٥٨/٤).

شارب الخمر أن مرض فلا تعودوه

وإن مات فلا تشهدوه

وإن شهد فلا تزكوه

وأن خطب إليكم فلا تزوجوه

نلاحظ تكرار النمط التركيبي المتمثل في أسلوب الشرط وجزاءه، فقد انبئى في هذه المتواليات على أساس

تركيبي مكون من:

أداة الشرط + (فعل ماض) فعل الشرط + فاء الجواب الرابطة + لا(الناهية) + فعل مضارع

وهذه الجمل الأربع تربط بينها أداة الشرط (إن) التي تعكس الترابط بين هذه الخصال، وهي كراهة تزويج شارب الخمر، وعيادته، وحضور جنازته، ومجالسته وقبول شهادته، وقبول شفاعته فهذه الأقوال المختلفة تجتمع تحت عنوان عام هو (معاملة شارب الخمر) نلاحظ أن النص كله قد اعتمد علاقة الشرط بالجواب.

ومن الرِّبْط ب(لو) ما ورد في قول الإمام أبي عبدالله عليه السلام: "لَوْ أُتِيَتْ بِرَجُلٍ قَدْ قَذَفَ عَبْدًا مُسْلِمًا بِالزَّيْنَاءِ لَا نَعْلَمُ مِنْهُ إِلَّا خَيْرًا لَصْرَبْتُهُ الْحَدَّ حَدَّ الْحَرِّ إِلَّا سَوْطًا". (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٥٢/٤).

فقد ربطت (لو) بين جملتين، الأولى (أتيت رجل قد قذف عبد مسلما) والثانية (لضربته الحد) وقد دخلت اللام على الجملة الثانية (جواب الشرط) وهي مؤكدة رابطة، تأتي لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى. (ابن يعيش، ٢٠٠١م، صفحة ١٠٦/٥).

وتقتضي جملتين ماضيتين الأولى تستلزم الثانية؛ لأنها شرط، والثانية جواب الشرط. (ابن مالك، ١٩٩٠م، صفحة ٩٤/٤) وتسمى حرف امتناع لامتناع، ومعناه امتناع وقوع الجزاء لامتناع الشرط.

كذلك من الربط ب(لو) ما ورد في قول الإمام علي في خطبة صلاة العيدين "... فَوَاللَّهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ الْوَالِيَةِ الْعَجَلَانَ وَدَعَوْتُمْ بِمِثْلِ دُعَاءِ الْأَنَامِ وَجَارْتُمْ جُورَ مُتَبَلِّ الرُّهْبَانَ، وَخَرَجْتُمْ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ التَّمَّاسِ الْقُرْبَةَ إِلَيْهِ فِي ارْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كَتَبْتُهَا وَحَفِظْتُهَا رُسُلُهُ لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ نَوَابِهِ وَأَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ مِنْ أَلِيمِ عِقَابِهِ..." (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ٥١٩/١).

فقد ربطت بين جملتين الأولى (حننتم حنين الواله العجلان) والثانية (لكان قليلا فيما أرجو لكم) ويلحظ هنا أنّ الربط لم يتم بين جملتين متعاقبتين، بل بين جملتين بينهما أكثر من جملة، وهذا يظهر قدرة أداة الشرط على اتساق النص، فهي قادرة على ربط جملتين سواء أكانت الجملتان متعاقبتين أم منفصلتين.

ومن الربط ب(لولا) ما ورد في قول الإمام الصادق عليه السلام: "لَوْلَا أَنَّ الصَّبْرَ خُلِقَ قَبْلَ الْبَلَاءِ لَتَفَطَّرَ الْمُؤْمِنُ كَمَا تَتَفَطَّرُ الْبَيْضَةُ عَلَى الصَّفَا". (الصدوق، ١٤٢٩هـ، صفحة ١٧٥/١)

في الحديث "إيماء إلى أنّ الصبر من لوازم الإيمان، ومن لم يصبر عند البلاء لا يستحق اسمه، لأنّ الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ويشعر بكثرة ورود البلاء على المؤمن." (المجلسي، ١٣٩٩هـ، صفحة ١٤٠/٨) فقد ربطت (لولا) بين جملتين، الأولى (إن الصبر خلق قبل البلاء) والثانية (لتفطر المؤمن) وقد دخلت اللام على جواب الجملة الثانية، فدلالة (لولا) عند النحاة هي حرف امتناع لوجود (ابن هشام، ١٣٧٨هـ، صفحة ٣٥٩/١) أسهمت علاقة الشرط بالجواب في بناء النص، وكشف عن ذلك الأداة (لولا) حيث كانت الأساس الذي بني عليه النص.

نلاحظ من ذلك أنّ أداة الشرط للجملتين أدت إلى اتساق النص، وجعل مكوناته مرتبطة بعضها مع بعض ربطا شكليا يفضي إلى ارتباط دلالي أفاد في بيان دلالة النص.

نتائج البحث

في نهاية مطافنا في هذا البحث توصلت دراستنا إلى النتائج الآتية:

- أسهمت العلاقات النصّية في ترابط النصوص وتنامي موضوعاتها، إذ تحافظ على استمرارية الأفكار داخل النصّ، وتضفي على النصّ تنوعاً يساعد في بناء موضوع النصّ وانسجامه، وتعمل على الرّبط بين أجزاء النصّ عبر تنظيم وحداته الصّغرى على شكل بناء هرميّ وصولاً إلى القضية الكبرى للنصّ.
- إنّ علاقة الإجمال بعد التفصيل كانت من العلاقات الفاعلة في نصوص أحاديث كتاب من لا يحضره الفقيه، حيث عملت على ربط السابق باللاحق مما حقق الانسجام والتماسك بين أجزاء نص الحديث الشريف، ففي الأحاديث التي تشمل في مقدمتها على عدد أو لفظ مبهم في حاجة إلى ما يوضّحه، فتساعد في توضيحه الجمل التالية له.
- تطابق السؤال بالجواب وهو كثير في نص الحديث، وغالبا ما يأتي الجواب مناسباً مع طبيعة السؤال.
- تحقق استعمال العلاقة السببية في بعض نصوص الحديث، فقد ساعدت على التماسك بين جانبي الأحاديث، وتقوية دلالاتها، وعضدت معناها، ووحدت رؤيتها، وساعدت على انسجامها، وتوضيح ما تضمنته من التعاليم والنصائح.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- ١. المبارك بن محمد ابن عبد الكريم ابن الأثير. (١٩٧٩م). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. بيروت: المكتبة العلمية.
- ٢. جلال الدين عبدالرحمن ابن أبي بكر السيوطي. (١٩٩٦م). *الديباج شرح صحيح مسلم بن الحجاج* (المجلد الأولي). المملكة العربية السعودية: دار ابن عفان للنشر والتوزيع.
- ٣. جمال الدين ابن هشام الأنصاري ابن هشام. (١٣٧٨هـ). *مغني اللبيب عن كتب الأعراب* (المجلد الأولي). طهران: مؤسسة الصادق للطباعة والنشر.
- ٤. جمال الدين محمد بن عبدالله ابن مالك. (١٩٩٠م). *شرح التسهيل لابن مالك* (المجلد الأولي). مصر: هجر للطباعة والنشر.
- ٥. جميل عبد المجيد. (١٩٩٨م). *البيدع بين البلاغة العربية واللسانيات النصّية* (المجلد د.ط). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٦. حسام أحمد فرج. (٢٠٠٧م). نظرية علم النص رؤية منهجية في بناء النص النثري (المجلد د.ط). القاهرة: مكتبة الآداب.
٧. سعد مصلوح. (٢٠٠٣م). في البلاغة العربية والأسلوبيات اللسانية آفاق جديدة (المجلد الأولى). الكويت: مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت.
٨. صبحي ابراهيم الفقي. (٢٠٠٠م). علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق - دراسة تطبيقية على السور المكتبة (المجلد الأولى). القاهرة: دار قباء.
٩. صلاح الدين صالح حسنين. (د.ت). الدلالة والنحو (المجلد الأولى). القاهرة: مكتبة الآداب.
١٠. عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي المناوي. (١٣٥٦هـ). فيض التقدير شرح الجامع الصغير (المجلد الأولى). مصر: المكتبة التجارية الكبرى.
١١. عز الدين بن هبة الله بن محمد ابن أبي الحديد. (١٩٩٨م). شرح نهج البلاغة (المجلد الأولى). بيروت - لبنان: دار الكتب العلمية.
١٢. عزة شبل. (٢٠٠٧م). علم لغة النص النظرية والتطبيق (المجلد الأولى). القاهرة: مكتبة الآداب.
١٣. عيسى شحاتة. (د.ت). العربية والنص القرآني - دراسة للقضايا اللغوية في كتب اعراب القرآن ومعانيه في أوائل القرن الثالث الهجري (المجلد د.ط).
١٤. محمد الصبّاغ. (١٩٨١م). الحديث النبوي مصطلحه وبلاغته (المجلد الرابعة). بيروت: المكتب الاسلامي.
١٥. محمد باقر المجلسي المجلسي. (١٣٩٩هـ). مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول (المجلد الثانية). طهران: مكتبة ولي العصر (ع).
١٦. محمد بن الحسن الرضي الاستربادي. (١٣٨٦هـ). شرح الرضي على الكافية (المجلد الثانية). طهران: مؤسسة الصادق للطباعة والنشر.
١٧. محمد بن علي بن الحسين بن بابويه الصدوق. (١٤٢٩هـ). من لا يحضره الفقيه (المجلد الخامسة). قم: مؤسسة النشر الاسلامي.
١٨. محمد بن مرتضى بن محمود الفيض الكاشاني. (١٤١٧هـ). المحجّة البيضاء في تهذيب الإحياء (المجلد الرابعة). مكتبة النشر الاسلامي.
١٩. محمد تقي بن ملا مقصود المجلسي. (٢٠٠٩م). روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه (المجلد الأولى). بيروت - لبنان: شركة دار المصطفى لإحياء التراث.
٢٠. محمد خطابي. (١٩٩١م). لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب (المجلد الأولى). بيروت: المركز الثقافي العربي.

٢١. محمد صالح المازندراني. (٢٠٠٠م). شرح أصول الكافي (المجلد الأولي). بيروت - لبنان: دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر.
٢٢. مرتضى البروجردي. (١٣٦٤هـ). مستند العروة الوثقى - كتاب الصوم - محاضرات آية الله العظمى الخوئي (المجلد د.ط). قم: المطبعة العلمية.
٢٣. ويول براون. (١٩٩٧م). تحليل الخطاب (المجلد الأولي). الرياض: دار الفجر.
٢٤. يعيش بن علي بن يعيش ابن يعيش. (٢٠٠١م). شرح المفصل (المجلد الأولي). بيروت - لبنان: دار اكتب العلمية.